« وإلى متى سيدى العقيد القذافى فى سياستك تجاه الحرب العراقية الإيرانية ؟ »

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

« نعم سوف أظل عربيًا وأرددها بقوة وخيلاء :

أعلنها بثقة وإيمان وتفاؤل تلك الثقة لأنها تنبع من قرارة النفس وعمق الذات وذلك الإيمان لأنها تضفى على الروح الطمأنينة والشعور بأن تلك الكلمة هى وحدها بلسم لجميع الجراحات ، ومعقد لجميع الآمال ، وذلك التفاؤل لأننى عندما أُطلقها لا أرى من حولى سوى عيونًا تغمرها السعادة ، ووجوها يعلوها الصفاء ، إن هذه الكلمات ليست مجرد عبارة عرجاء أو صيحة استنفار ، أو شعارًا أجوف ، إنها تنبع من القلب وترتد إلى القلب ، إنها صيحة تنطلق فإذا بها وهى خافتة تصير زئيرًا يعلو جميع الأصوات ، إنها رنين أعذب من الموسيقى يخدر الذات ، ويضفى عليها تلك الثقة التى لم تستطع أى زعامة أو أى ثورة أن تضفيها على أى طبقة أو فئة أو جماعة ، إنها دستور للحياة ، حتى لو لم يقنن ، ومنهاج للممارسة ، حتى لو لم يوجد بعد الفيلسوف القادر على صياغة قواعد الممارسة .

نعم ياسيدى العقيد معمر القذافى ، إنها كذلك حتى لو كان سلوك الواحد منا يتناقض مع جوهر هذه الصيحة ، ويتنافى مع كل ما تقتضيه من مفاهيم ، وما تفرضه من مدركات ، أنت تعلم كم أحببتك وتعلقت بك ، بل وبصيحاتك ، ورغم ما جلبه علىّ ذلك من متاعب ، ورغم وصف ذلك من جانب الكثيرين ممن أقدرهم وأحترم رأيهم ، بأنه من جانبى يتناقض مع ما أمثله من علو فكرى وتعالٍ فلسفى .

لماذا ؟

لأسباب عديدة ذكرت البعض منها فى الصفحات الماضية ولكن آن لنا أن نسجل

(*) مجلة " L Avant Grade Arabe " الطليعة العربية ، فرنسا العدد 95، فى 4 آذار - أبريل - 1985، ص 26 وما بعدها .

المواقف بدقة ووضوح لقد تصورت فيك أربعة أشياء :

أولاً : لقد تصورت أنك تمثل النقاء فى عالم لم يعد يسوده إلا التلوث .

ثانيًا : وأنك تعكس الاستمرارية لثورة عبد الناصر ولتعاليم ثورة 23 يوليو .

ثالثًا : ولأنك كما تقول تعيش فى هاجس الوحدة العربية تجعل منها زادك اليومى ومنهاج وأسلوب حياتك الثابت .

رابعًا : ولأنك أخيرًا لا تزال تؤمن بحياة البدوى ، وتقاليده بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانى .

وأنت ، كما تقول ، تعكس الاستمرارية لثورة عبد الناصر فى لحظة كان الكثيرون يتهربون من الانتماء ولو الفكرى لتعاليم ذلك القائد المصرى ، ثورة الفاتح كما قلت فى موضوع آخر عزيزة علينا نحن أبناء وادى النيل؛ لأنها ولدت فى أحضان تعاليم عبد الناصر، ونشأت على مبادئ الثورة المصرية العملاقة ، واستلهمت منها جميع خطواتها ، ولم أبالغ عندما أكدت فى موضع آخر ، أن ثورتك سيدى العقيد كانت بلسم شفاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عقب الهزيمة الكارثة ، وعقب أن أُغلقت الأبواب أمامه ، فأقبل على حرب الاستنزاف وحيدًا إلا من إرادته ، ضعيفًا إلا بشجاعته لعلك لا تعلم يا سيدى أن عبد الناصر خرج من حرب الأيام الستة بقناعة مزودجة :

أولاً : أنه لم يعد يستطيع أن يعتمد على أحد ، وأنه إن ظل يتحدث عن القومية العربية ، ويدافع عن مبادئها فإن هذا لا يعنى أنه قادر على أن يجد بين الحكام العرب من يقدم له العون أو يخلص له المساندة .

ثانيًا : أن حربه مع إسرائيل لم تعد حربًا عربية صهيونية وإنما أضحت مصرية إسرائيلية، جاءت ثورتك لتعيد بعض التوازن فى هذا الإدراك الناصرى ، تجلى فى موقفه من أزمة سبتمبر 1970 والتى انتهت بأيام أيلول الأسود وباختفاء القائد البطل .

وأنت تعيش فى هاجس الوحدة ، وتقول : إن الوحدة فى فلسفة الثورة الليبية هى حقيقة مطلقة ، إنها تعلو جميع الأهداف ، وإنها هدف ووسيلة ، وهى هدف بعيد المدى ومحور للحركة فى الزمن القصير ، إنها تفترض تحريك الموقف المستمر بجميع الوسائل ، إنها بمثابة الناقوس الذى يجب أن يدق فى كل لحظة وفى كل مناسبة ، بل ويجب خلق المناسبة ليرتفع الصوت منبهًا الأذهان بحقيقة المصير . . . تقول سيدى العقيد فى إحدى خطبك عقب الثورة مباشرة : « الوحدة هى ضرورة مطلقة لحماية الشعب من أعدائه . . . وإنها الأساس الحقيقى والقاعدة الصلبة التى منها سوف تنطلق الجماهير الكبرى لحماية الشعب العربى لتحرير الأرض المقدسة فالوحدة كحركة سياسية فى الإدراك الليبى ، كما

تقول تتميز بخصائص معينة :

أولاً : فهى حركة سياسية يجب أن تتم بسرعة ؛ لأنه يتوقف عليها تحقيق جميع الأهداف الأخرى ، فالاشتراكية والحرية لا تمران إلا عبر التطور الوحدوى .

ثانيًا : الوحدة لن تحققها سوى الجماهير العربية ، إنها مطلب للجماهير التى تعيش بأمل تحقيقها وبحرارة عن الوصول إليها .

ثالثًا : وهى لذلك لن تتم إلا من خلال الدعوة المباشرة للجماهير ، إنها ليست حركة جماهيرية ؛ بل إن الخبرة أثبتت أن أية نظم سياسية تقف عقبة ضد الوحدة **ستنتهى بالزوال** ولذلك فلا بد من تخطى تلك الأوضاع النظامية ؛ لأنها لن تصير عاملا مسانداً لتحقيق الوحدة والخطاب المتجه إلى الجماهير هو وحده الذى سوف يجعل من هذه الجماهير قوة ضاغطة ضد حكومتها المتقاعسة عن تحقيق الوحدة .

رابعًا : وظيفة الثورة الليبية كما تعلن هى دفع الإرادة الجماهيرية المقهورة العربية لأن تنبثق فى صورة حقيقية ، وأن تنطلق فى حركة دافقة محطمة جميع الحواجز والعقبات .

خامسًا : هذه الوحدة العربية ، هى التى سوف تحقق الطريق الثالث للإنسانية المعذبة ، فبفضل الثروات الطبيعية ، وبفضل التراث الحضارى والتاريخى ، والاتساع الجغرافى ثم سمو الحقيقة الإسلامية ، كعقيدة وفلسفة للعالم الجديد العربى الإسلامى ، سوف يقدر له أن يصير العالم الثالث .

هذا الهاجس الوحدوى ، وبغض النظر عن مقدماته وعناصره ، والذى يسيطر على إدراك الرئيس القذافى ، قد تبلور من خلال مواقف متعددة ليصير أحد عناصر حركته الإقليمية ، وهو ما نستطيع أن نسميه مبدأ التحريك المستمر للموقف المرتبط بقضية الوحدة . الواقع أننا لكى نفهم مدركات القذافى ، علينا أن نستعيد خبرة جمال عبد الناصر ، الزعيم الذى كان يؤمن بأن أية قضية مهما كانت خاسرة لابد من إثارتها بطريقة مستمرة إن هذا يحفظ لها البقاء ، ويمكنها من الاستمرارية والتفاعل فى الوعى والضمير الجماعى وبصفة خاصة عندما تستند القضية أساسًا إلى العقل الجماهيرى . هذا الوعى يجب أن يظل مشتعلاً كذلك فإن قضية الوحدة يجب أن تظل مشتعلة فى الوعاء النفسى العربى ، وليس أقوى من التحريك من خلال النموذج الواقعى مهما كانت احتمالات فشله ، ولعل هذا يفسر هذه الحركة الليبية الدائبة نحو الوحدة : تارة مع مصر والسودان وسورية ، وتارة أخرى مع مصر وسورية ، ثم مع تونس ، وأخيرا مع المغرب ، كل هذا فى حقيقته ليس إلا وسيلة للاشتغال والتحفز .

وأنت سيدى العقيد لا تزال تؤمن بحياة البدوى وتقاليده بكل ما تعنيه هذه الكلمة من

معان ، لا تزال تعيش فى خيمة صحراوية ، تستقبل فيها زوارك ومحبيك ، وتفتح صدرك للنقاش ، ولا تتردد فى أن تحاور الرأى المخالف ، والذى فى كثير من الأحيان قد يصير نوعًا من التحدى ، لا أزال أتذكر دخولك بيننا فى ندوة طرابلس عن الصهيونية منذ قرابة سبعة أعوام لتجلس بيننا فردًا عاديًا ، حتى أننا لم نشعر بوجودك إلا عندما رأينا حراس الأمن يتقاطرون فى أنحاء القاعة ، ولا أزال أتذكر لقائى معك سيدى الرئيس فى حضور بعض الزملاء الذين حضروا ندوة الوحدة العربية فى شتاء العام الماضى ، عندما طرح موضوع الحرب العراقية الإيرانية ، واحتدم الحوار فخرج علينا زميل سورى كالعادة يذكرنا بأننا فى حضرة رئيس الدولة ، ولم أتردد فى أن أجيبه بحدة : « إننى لا أجادل رئيس الدولة ولكننى أناقش رئيس ثورة وقائد مسيرة » ولم أر على وجهك إلا ملامح السرور والانتعاش .

العناصر الأربعة الأخرى:

ولكن دعنى يا سيدى الرئيس وباسم هذه العاطفة أن أحدثك عن الأخطاء التى وقعت فيها ، وقد يكون لذلك آثار وخيمة فى المستقبل ، واسمح لى سيدى الرئيس أن أحدثك بصراحتى المعتادة ، وليس لى من هدف سوى المصلحة القومية ، التى هى وحدها حلقة الوصل بينى وبين أى زعيم عربى ، والتى هى وحدها تمثل معيار التقييم لأى سياسة عربية .

أولاً : لماذا تبذير نقود أمتك فى غير صالح أمتك ؟

ثانيًا : ولماذا إهدار كرامة أبناء وطنك وإذلالهم ؟

ثالثًا : وما معنى هذا التهريج الذى تمارسه فى نظامك السياسى ؟

رابعًا : ثم كيف تفسر سياستك مع طهران ، وبصدد الحرب العراقية الإيرانية ؟

فلنسرع بأن نصفى الأمور الثلاثة الأولى ؛ قبل أن نقف أمام المتغير الرابع الذى يمثل وكما قلت لكم ، شخصيًا ومباشرة فى أكثر من مناسبة واحدة : إنه يمثل كارثة حقيقية فى تاريخ أمتنا العربية .

أول عناصر النقص فى سياستك سيدى الرئيس ، أنك تبذر نقود أمتك فى غير موضعها . فأنت تنفق على كل مدع بالثورية ، وعلى كل حركة تتصف بأنها تسعى إلى خلق الاضطراب فى النظام الدولى ، أعلم أن هذا يصدر عن قناعة منك ، بأنك كما قلت للصحافى «حاميد بارادا» فى لقائك معه ، والذى نشر فى كتاب يحمل اسمك ، بأنك تعتبر نفسك « معارض على المستوى العالمى» ؛ ولكن هذا لا يعطيك الحق فى تبذير نقود أمتك تارة على نيكاراجوا ، وتارة أخرى لمساندة ثوار أيرلندا على سبيل المثال .

إن دخل بلادك وصل فى أقل تقدير إلى عشرين بليون دولار سنويًا[1] فكيف لا تتحول هذه الثروة إلى مقدرة حقيقية . إن عدد سكان دولتك الحقيقيين لم يتجاوز المليون ونصف فى كل تلك الأرض الشاسعة ، فماذا فعلت بكل ذلك خلال ستة عشر عامًا؟ المجتمع الإسرائيلى فى خلال المدة نفسها تقريبًا وبأقل من هذه القدرة المادية رغم جميع المساعدات ، وبثلث عدد سكان دولتك استطاع أن ينتهى فى عام 1967 لأن يفرض الهزيمة على ثلاثة أقطار عربية، فماذا فعلت أنت ياسيدى ؟ دعنى أذكرك يا سيدى أنك بهذا إنما تخدم أعداء الأمة العربية .

إن تحديات الأمة ثلاثة :

أولها : الوجود الإسرائيلى .

وثانيها : التخلف .

وثالثها : بناء الإنسان العربى . فماذا فعلت بهذه الإمكانيات التى لا حدود لها ؟ وتذكر أن جميع القوى الدولية تعمل جاهدة على أن تمنع المنطقة من أن تحقق هذه الأهداف وأنت وقعت بلا وعى فى هذا الشَرَك ، حتى التطور الصناعى ، الذى وضعت بذوره فى بلادك ، لا يخرج عن كونه إنفاق وتبذير بلا عائد ، هل أذكرك بنموذج واحد ؟ إنشاء مصنع لإنتاج السجائر يفخر رجالك بأنه الثانى فى العالم من حيث الطاقة الإنتاجية ، ومع ذلك يعمل بأقل من واحد على مائة من طاقته الحقيقية ! وكل من زاره يرى الصدأ وقد علا آلاته . فى خلال عدة أعوام سوف تبيعه سيد الرئيس « خردة» ، يُلقى بها فى صناديق القمامات فهل هذا هو التصنيع ؟

كذلك فإننى آخذ عليك إهدارك لكرامة بنى وطنك ، منذ متى كان يعامل العربى فى أرض آبائه كما يعامل اليوم الليبى على أرض العروبة ؟ ألا تعلم يا سيدى الرئيس أن هذا الليبى لم يعامل حتى فى أشد عصور القمع والاستعمار ، كما يعامل اليوم فى ظل النُظم الثورية التقدمية ، التى تزعم بأنها جاءت تحرر الإنسان العربى ؟ المحاكمات التى تجريها هى أقرب إلى التمثيليات المبكية ، و هى ليست إلا دليلاً ساطعًا على ما وصلت إليه أوضاع بلادك بهذا الشأن . ولا تحدثنى عن الدول العربية الأخرى ، فأنا أجدك قائد ثورة يصف نفسه بأنه خليفة لعبد الناصر ، تعلّم من أخطائه ، ويسير على درب مفاهيمه فى أرضك نبت عمر المختار ، وعليك يا سيدى أن تحترم رجولة ذلك القائد ، والرجولة لا تعنى

---

(1) هذا منذ عام 1985 ، ونحن الآن عام 1998 أى مجموع دخل ليبيا عبارة عن 28 × 20 = 560 خمسمائة وستون بليون دولار ، هذه الأموال أليست كفيلة بفك أى عبء على العالم العربى والإسلامى ، (الديون مثلاً) ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

استخدام القوة إزاء الضعيف ، وشعبك فى مواجهتك ضعيف بجد أولاً وبثقة ثانيًا وبعدم امتلاكه لأى سلاح يستطيع به أن يواجهك ثالثًا ، ولكن إلى متى ؟ دعنى أذكرك بأنه لا توجد دول قوية لا تستند إلى رجال أقوياء ، والرجل القوى هو الذى يعرف أن له كرامة من حقه أن يدافع عنها . وقد وجد فى نظام أمة سياجًا يحميها من المهانة ، ولعل هذا يفسر موقفى من هذا « التهريج» ، الذى يسود عملية بنائكم للدولة الليبية . إننى لا أناقش أنكم استطعتم أن تدفعوا بالشعب الليبى دفعات قوية نحو الوحدة القومية والانصهار القومى ، وقد أشدت بذلك فى أكثر من موضوع . لكن ماذا أصاب عقولكم المفكرة خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ؟ ، ما هذه التنظيمات العجيبة التى لا تعنى إلا الفوضى والعشوائية ، والذى لن ينتهى إلا بحكم الغوغائية ؟ ، هل هذا هو الذى تريده ؟ إننى واثق أن هذا لم يرد فى ذهنك ، ولكنها مجموعة المتسلقين الذى أحاطوا بك فاستغلوا البراءة . **كما حدث مع السادات فأحيل إلى فرعون رغم قوة الجسد المصرى ، يحدث معك حيث المجتمع الليبى بحكم تاريخه لا يمثل سوى الرخاوة وعدم صلابة تقاليد التعامل المصرى .**

على أن كل هذا يمكن أن يكون موضع نقاش ، ولكن الناحية الرابعة التى لا أستطيع إلا أن أقف منها موقف التمزق والحزن والرفض المطلق ، هى تلك المرتبطة بالتحالف بينك وبين القيادة الحاكمة فى إيران ، ودعنى منذ البداية أحدد بعض النقط الأساسية ؟

أولاً : نحن جميعًا عندما اندلعت ثورة إيران ، كنا ننظر إليها بعطف وتعلق . فهى ثورة من العالم الثالث وهى تعلن الرفض الإسلامى وتعلن قناعتها بالقضية العربية .

ثانيًا : إننا نعلم جميعًا أن علاقتنا بالشعب الإيرانى ، ومهما اختلفت العقائد فهى . علاقات مع شعب مسلم ، ينتمى مثلنا إلى نفس الحظيرة الدينية .

ثالثًا : ونحن نعلم جيدًا بأن «الخمينى» هو تلميذ لسيد قطب ، أحد قادة الإخوان المسلمين وأن كتاب هذا الأخير عن العدالة الاجتماعية هو قاموس الخمينى ودستوره ، ونعلم أيضًا أن حرب أكتوبر هى التى خلقت الدفعة الحقيقية فى الحركة الثورية فى « إيران الشاه » .

ولكن ألا تتفق معى - سيدى العقيد- أن هناك أيضًا حقائق لم تعد موضع مناقشة ؟

أ - إن إيران تتعاون مع « إسرائيل »[1] تعاونًا محكمًا وهو تعاون يمثل استمرارية فى تقاليد إيران الحديثة ومنذ حكم الشاة ؟

ب - إن إيران أضحت تمثل أداة من أدوات شد الجسد العربى بقصد تمزيقه من منطلق التعارض القومى والمصلحى فى آن واحد .

(1) إن هذا يَصدُق مائة بالمائة على تركيا .

جـ - إن إيران تعمل اليوم بوعى أو بلا وعى لتعميق المصالح الأمريكية .

د - إن مبدأ التضامن فى الحركة السياسية ، له مستوياته وأن مستوى التضامن القومى أكثر ضيقًا من التضامن الدينى ، وأن علاقتك بالعراق ليست فقط علاقة تضامن دينى بل وكذلك تضامن قومى ؟

فكيف تقبل مناصرة القيادة الإيرانية وتأييدها فى تعنتها وفى اعتداءاتها ؟

وما هو أهم من ذلك ، أنت تؤمن من جانب بالقومية العربية ، ومن جانب آخر بالمفاهيم الناصرية ، فأين كل ذلك من سياستك فى تأييد إيران وإرسال طائرة عملاقة مملوءة بالسلاح يوميًا إلى طهران يستخدم - هذا السلاح - للفتك بأبناء عمومتك وإخوتك فى الانتماء القومى ؟

القومية العربية تعنى ثلاث حقائق مترابطة لا تنفصم :

الحقيقة الأولى : التماسك بين عناصر الجسد السياسى .

الحقيقة الثانية : التضامن فى مواجهة أعداء الجسد السياسى .

الحقيقة الثالثة : المساندة فى الصراع من أجل البقاء .

وأنت يا سيدى العقيد تخالف المبادئ الثلاثة[1] فأنت تفرض التفكك فى الجسد العربى، وأنت تخالف مبدأ التضامن ، بل وتدوسه بالأقدام ، وأنت لا تساند إلا العدو ، فهل هذه هى القومية العربية فى إدراك ثورة الفاتح ؟

والناصرية تفرض بدورها ثلاثة مفاهيم تتكامل كأسلوب للحركة وللتعامل مع المواقف بحيث تكون فيما بينها نسيجًا واحدًا متناسقًا من الإدراك :

المفهوم الأول : ضرورة نسيان جميع الخلافات فى لحظات الصراع المصيرى .

المفهوم الثانى : الارتفاع عن مستوى التباين النظامى إزاء مواجهة الأزمات .

المفهوم الثالث : التكتل خلف الإرادة القومية عندما تدق لحظة الخطر .

وأنت يا سيدى تدوس بالأقدام هذه المفاهيم الثلاثة :

فأنت لا تطرح الخلافات على بساط البحث إلا لحظة الصراع المصيرى .

وأنت لا تستطيع أن ترتفع عن مستوى التباين النظامى فى أى مرحلة من مراحل التعامل .

وأنت لا تعرف معنى التكتل القومى ؛ بل إنك - ومعذرة يا سيدى من هذه

---

(1) يظل هذا التحليل وجهة نظر بشرية يؤخذ من صاحبها ويُرد ، وقد أثبتت الأيام أن أمريكا وإسرائيل وأعداء الأمة يضعون إيران فى سلة واحدة مع العراق مع الصحوة الإسلامية والسودان وأعداء العالم الغربى .

الصراحة - تنسى تعاليم عبد الناصر وتجعله يئن ألمًا فى مقبرته ، هل تستطيع أن تنسى كيف وقف أمامكم نائب رئيس جمهورية إيران فى احتفالات ثورة 23 يوليو بطرابلس ، يتحدث عن « الخليج الفارسى » وحقوق الشعب الإيرانى فى الخليج ؟ على أن أخطر ما يعاب على هذا الموقف هو أن الشعب الليبى يرفضه ، وعندما تصديت لذلك الضيف الثقيل تذكره !! بأنه لا يجوز أن يأتى لإهانتنا فى منزلنا وفى عقر دارنا ، وأن هذا ليس من آداب الضيافة ، هل تتذكر سيدى العقيد كيف كانت رد فعل الحاضرين من الليبيين ؟ إجماع وسعادة وانتعاش وفخر ، لم تستطع حتى تلك اللحظة أن تعبر عنها الأفواه .

عليك سيدى الرئيس أن تعرف أنك كقائد ثورة يجب أن تكون النبض الحقيقى لشعبك ولأمتك ، ويوم تحدث الفرقة فإنك تكون قد فقدت شرعية نظامك ، وهذا الشعب ليس راضيًا عن هذه السياسة ، وعليك أن تعمل بوحى من ذلك .

رغم ذلك ، فأنت قادر على أن تصحح الخطأ ، والأنباء المتواردة منذ عدة أسابيع تحدثنا عن محاولات من جانبك للصلح بين بغداد وطهران ، إن هذه فرصتك لإزالة أخطاء الماضى ولتنقية وجه سياستك أمام التاريخ ، ولو نسبيًا ، ليس عيبًا أن نخطئ ولكن الجريمة هى فى الإصرار على الخطأ .

فهل سوف تُسمِعُنا الأنباء القادمة من طرابلس نغمة القومية العربية الحقيقية ، فى صدق عنفوانها وفى شموخ مبادئها ؟ كم نتمنى ذلك » .